الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الدكتور مولاي الطاهر -سعيدة

كلية الآداب واللغات والفنون

قسم اللغة العربية

تخصص نقد عربي قديم

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر الموسومة بـ

نزعة التمرد في شعر الصعاليك
الشنفرى أنموذجا

إعداد الطالبة:

عبيدي صابرينة

تحت إشراف الدكتور:

دين العربي

لجنة المناقشة

د. مجاهد تامي	.....	رئيسا
أ.د. دين العربي	.....	مشرفا ومقررا
أ.د. عبو عبد القادر	.....	ممتحنا

الموسم الجامعي

1439هـ/1440هـ – 2018م/2019م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أهدي هذا العمل إلى:

إلى من أنزل الله فيهم آية "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا"

والدي العزيزين أدام الله لهما الصحة والعافية

إلى من كانوا لي سندا في حياتي

إخوتي وأخواتي وزملائي وأساتذتي

صابرينة

شكر وعرفان

انطلاقا من قوله تعالى:«ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم»

أحمد الله أولا وآخرا أن أنعم علي بانجاز هذا العمل والشكر له أن وفقني لإخراجه إلى النور

وبموجب ذلك أتوجه بشكري الجزيل إلى أستاذي الدكتور "دين العربي" الذي تكرم علي بقبول الإشراف على هذه الرسالة المتواضعة

كما أشكر له صبره الذي طال بطول فترة إنجاز هذا البحث، والتي لم يبخل علي من خلالها برعايته الصادقة واهتمامه الكبير فجزاه الله عني خير الجزاء

كما أتقدم بخالص امتناني إلى الأساتذة الكرام من أعضاء المناقشة على ما بذلوا من جهد قراءة البحث وتصحيحه وتقويمه

كما أشكر كل من له فضل علي ومن أسدى معروفا أو توجيها أو إرشادا

مقدمة

تعد الصعلكة ظاهرة اجتماعية تولدت من عدم امكانية تعايش الفرد في إطار القبيلة في أنظمتها القاسية وقوانينها الجائرة، فأسس الصعاليك بذلك مجتمعا جديدا له قوانين خاصة به وقد عبر عن هذا الموقف خير تعبير الشنفرى الذي خلعته القبيلة فكانت اللامية أصدق تعبير عن ذلك.

ومن المعروف أن النص الشعري الذي أنتجه هؤلاء الصعاليك يمثل في جله نص الرفض والتمرد على قيم القبيلة ويمكن القول أن هذا النص يمثل حركة ثورية في المستويين الاجتماعي والفني معا.

ومن هنا جاءت صورة البحث الموسومة بـ: نزعة التمرد في شعر الصعاليك الشنفرى أنموذجا، ولعل دراستنا هذه قد أولت لامية العرب الاهتمام البالغ من الدراسة معتمدين على المنهج الوصفي التحليلي لأننا نراه الأنسب لتحليل النصوص الشعرية.

والدافع لهذه الدراسة بالنسبة إلينا هو اهتمامنا بشعر الصعاليك، وعلى وجه الخصوص الشنفرى الذي يمثل قيم الصحراء والإباء والعزة، وقد أبرزت صورة من صور المجتمع الجاهلي.

وعليه تنحصر إشكالية الموضوع في:

وقد بني هذا البحث على فصلين تصدرتهما مقدمة وتلتهما خاتمة وملحق.

والفصل الأول تناولنا فيه مفهوم التمرد ثم أسباب وعوامل الصعلكة ثم أهداف الصعاليك.

أما الفصل الثاني الذي جاء تطبيقيا تناولنا فيه دراسة فنية للامية العرب وذلك بدراسة التخلص من المقدمة الطللية ولغة القصيدة ركزنا فيها على المعجم الشعري، الصور الشعرية والموسيقى.

وتطرقنا إلى بروز الظاهرة القصصية والتزام بالمذهبية الصعلوكية التي تجسدت في أخلاقهم (الحرية، العفة، الشجاعة، الإرادة).

وفي الأخير، الخاتمة التي استخلصنا فيها أهم النتائج التي خلص إليها البحث والملحق الذي تناولنا فيها القصيدة وأجمل ما قيل في شعر الشنفرى.

وقد استندت في كل ذلك على جملة من المصادر والمراجع ونذكر منها

ديوان الشنفرى "تحقيق إميل بديع يعقوب"

يوسف خليف "الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي"

محمود حسن أبو ناجي "الشنفرى شاعر الصحراء الأبي"

عبد الحليم حنفي "شعر الصعاليك خصائصه ومنهجه"

وغيرها من المصادر والمراجع التي تناولت هذا الموضوع ومما تجدر الإشارة إليه أنه قد اعترضتنا جملة من الصعوبات تمثلت في طبيعة شعر الصعاليك الذي يتميز بالألفاظ الصعبة والغريبة مما يصعب فهمه.

في الأخير، يجدر بنا تقديم الشكر الجزيل والامتنان الكبير لكل من ساعدنا وساندنا في إتمام هذا العمل كما لا يفوتنا أن ننوه بالدعم الذي خصنا به الأستاذ المشرف "دين العربي" وأيضا أعضاء اللجنة المناقشة الذين ساهموا بتوجيهاتهم وتصويباتهم البناءة في ضبط هذه المذكرة والشكر موصول كذلك إلى الأساتذة الكرام.

الفصل الأول

التمرد في شعر الصعاليك

المبحث الأول: مفهوم التمرد

التمرد في اللغة هو:

تطرقت مجموعة من المعاجم لتعريف مفهوم التمرد كما يلي:

ورد في لسان العرب:[1] المرد: تطاول بالكبير والمعاصي، ومنه: مردوا على النفاق أي تطاولوا، ومرد على الشر وتمرد، أي عتا وطغى، وقالوا تمرد هذا: أي جاوز حد مثله.

وورد في معجم مقاييس اللغة:[2] المارد: العاتي، ومرد الطعام يمرده مردا: ماثه حتى يلين، وفي القاموس المحيط: متمرد: أقدم وعتا وهو أن يبلغ الغاية التي يخرج بها من جملة ما عليه ذلك الصنف، وفي معجم الوسيط[3] ورد كذلك: مرد الإنسان مرودا: طغا وجاوز حد أمثاله أو بلغ غاية يخرج عن جملتهم، مرد الشيء: لينه وصفا، وهكذا نستطيع أن نقول أن معظم المعاجم تتفق على أن التمرد هو البلوغ غير الطبيعي للشيء وتجاوز الحد المعقول له وإخضاعه للوضع الجديد الذي يريده المتمرد.

وإذا بحثنا في الدلالة اللغوية لمصطلح التمرد (révolte) فإنه بوجه عام يفيد العصيان الذي يقوم على مواجهة حالة معينة عن طريق العنف، ففي اللغة الفرنسية فإن التمرد مشتق من اللفظ الإيطالي rivoltare ويعني التغيير أو العودة،[4] وهذا يعني أن التمرد في الاصطلاح اللغوي الفرنسي إعادة الأوضاع إلى غير ما كانت عليه.

---

[1] جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، دط، دت، مج 04، باب الدال فصل الميم.

[2] أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، دط، دت، م05، باب مرد.

[3] الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الجيل، دت، م05، مرد.

4 ألبير كامو، من العبث غلى التمرد، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 26، سبتمبر 2016، ص 308.

التمرد اصطلاحا:

التمرد هو كسر المألوف وتجاوز المسكوت عنه بالكشف عنه كما يرى "ألبير كامو" «إن الإنسان هو الكائن الوحيد في الطبيعة الذي يرفض ما هو عليه.... والثورة والتمرد اعتبرتا من الخصائص الإنسانية الأصلية لدى عدد من المفكرين».[1]

من هذا المنطلق سنجد أن الإنسان الذي يرفض أو يثور لا بد أن يكون لديه من الالتزام بالذات أو بالغير أو بالقيم ما يدعوه لهذا الرفض، ويرى "ألبير كامو" أيضا أن المتمرد هو الإنسان الذي نظر إلى الواقع فاكتشف زيف علاقاته فقام يصارع الواقع صراعا عشوائيا ولذلك أخذ يقول "لا" في العالم يقول "نعم" ويرفض القوانين الجائرة رفضا فرديا ويكره الاستعباد والعبودية ويرى أنها من صنع البشرية حيث يطالب بالمساواة والعدالة ويغامر بنفسه، ويصارع الأقدار المصنوعة.

فالتمرد هو رغبة الإنسان المتمرد في كشف الزوايا المظلمة وتحقيق توازنه بين ذاته الداخلية وما يرغب فيه وبين واقع المجتمع الذي ينتمي إليه، ولهذا فإن التمرد هو صراع الإنسان المتمرد على مجتمعه بهدف تغييره ومحاولته التخلص من عبودية الآخر.

ويرى "عز الدين اسماعيل":«التمرد في حقيقة الأمر ملئ بالصعوبة والقسوة وهو في جوهره احتجاج على تدمير الذات وإن كان من جهة أخرى يعني تدمير المتمرد ذاته، وفي كلتا الحالتين هناك الخوف من ضياع الذات والقلق المرهف من أن يصبح المرء شيئا تافها وربما قبل أن التخلي عن الذات على أي صورة هو الوصية الحقيقية للحفاظ عليها ولكن الذات مهما كان جهادها لن يكون في وسعها أن تبطل النظام الذي يعيشه الوجود مع ما فيه من زيف وخداع، ولن يكون في مقدورها أن تلتزم الصمت حتى تأتي النهاية المحتومة الذي تضيع فيها الذات والوجود معا».[2]

---

[1] ألبير كامو: الإنسان المترد، تر: نهاد رضا، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط3، 1983، ص19.

[2] عبد القادر عبد الحميد زيدان، التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط01، الاسكندرية، 2003، ص139.

فالتمرد هو إما احتجاج على تدمير الذات أو تدمير المتمرد ذاته في سبيل تحقيق الوجود الحقيقي مما يجعل منه أمرا صعبا وقاس لتحقيق ما يرغب في إعلانه وبين المسكوت عنه داخل مجتمع مزيف، ولهذا فإن التمرد في أبسط صورة إنما هو تأكيد لوجود مرغوب ورفض لوجود غير مرغوب.

في حين تعرف "خولة المطارنة":«التمرد هو نمط سلوكي مبالغ فيه خارج عن حد المألوف أو حد السواء وهو شعور بالرفض لكل ما يحيط بالفرد، وما يترتب عليه من سلوك قد يتصف بالعداء والكراهية والإزدراء لكل ما اصطلح عليه المجتمع من قيم وعادات ونظم أو هو السلوك الرافض لكل استقر عليه المجتمع وألفه من عادات وتقاليد ».[1]

وعلى هذا نستطيع أن نقول أن التمرد هو السلوك الذي يتصف بالعداء والكراهية تجاوز الحد الطبيعي مما يجعل الفرد يشعر بالرفض للمجتمع بما فيه من قيم وعادات وتقاليد.

أما من جهة التحليل النفسي، فيرى "سعد عبد الرحمن" أن «أهمية الضغوط الاجتماعية على الإنسان المتمثلة في القيم والتقاليد والعادات السائدة».[2]

ومن ذلك يتضح تأثير البيئة الخارجية والضغوط الاجتماعية في تشكيل شخصية الإنسان، لأن هذه الشخصية تتأثر تأثرا واضحا بمثل هذه الأمور، فالشخصية هي صفات الشخص التي يتميز بها من خلال علاقاته مع الناس في ظل التكيف للمواقف الاجتماعية، لذا اعترضت الإنسان معيقات تتمثل في إشباع حاجاته، فإن ذلك سيدفعه نحو التمرد والثورة والميل إلى العدوان.

وبناء على ما سبق ذكره فإن فعل التمرد هو ظاهرة إنسانية تستمد نسقها من واقع الفرد داخل المجتمع الذي ينتمي إليه ومحاولته التخلص من العبودية.

---

[1] خولة محمد زايد المطارنة، العلاقة بين الضغوط النفسية والتمرد، جامعة مؤتة، كلية العلوم التربوية، قسم علم النفس، ماجستير، 1995، ص07.

[2] سعد عبد الرحمن، السلوك الانساني، مكتبة الفلاح، ط03، 1983، ص46.

والتمرد ما هو إلا تحد ومعارضة، موجه ضد وضع من الأوضاع ولهذا فإن الوضع والضغوط الاجتماعية وما يحيط بالفرد في بيئته لها أثر على تمرد الإنسان.

المبحث الثاني: أسباب وعوامل ظهور الصعلكة

لقد تعددت أسباب وعوامل نشوء ظاهرة الصعلكة، فهي حاجة فرضها واقع شبه الجزيرة العربية بكل ما فيه في موقعه الجغرافي ونظامه الاجتماعي والاقتصادي.

1. العامل الطبيعي:

1.1. الموقع الجغرافي لشبه الجزيرة العربية:

كما هو معروف أن شبه الجزيرة العربية هي تلك المنطقة التي تقع إلى الجنوب من بلاد الشام، وتمتد جنوبا حتى بحر العرب والمحيط الهندي، يقع البحر الأحمر على حدودها الغربية ويحدها من الشرق خليج العرب والعراق يقع إلى الشرق والشمال الشرقي منها.[1]

حيث يقول جواد علي «ويطلق العلماء العرب عليها تجوزا اسم جزيرة العرب تحيط بها المياه من أطرافها الثلاثة ومع ذلك لم يستطع الجو البحري أن يخفف حدة الحرارة فيها، ويتغلب على جفافها والأبخرة المتصاعدة من البحر لا تتمكن أن تصل إلى أواسط بلاد العرب لا تزال رحمتها عليها فإن رياح السمائم وهي ذات الحر الشديد النافذ في المسام تتلقى الرطوبة التي تنبعث من البحر»[2]

ويبدو أن الموقع الجغرافي لشبه الجزيرة العربية جعل منها مناخا جاف حار قليل المطر صيفا وبارد شديد البرودة شتاءا، وعلى الرغم من أن البحار تحيط بالجزيرة من جوانبها الثلاث فإن جو الجزيرة بقى جافا حارا، فرياح السموم التي تهب صيفا تمتص الرطوبة قبل أن تتمكن من التوغل داخل الجزيرة فلذلك لم تستطع هذه البحار تلطيف جو الجزيرة.

---

[1] عبد الرزاق الخشروم، الغربة في الشعر الجاهلي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1986، ص17.

[2] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، ط04، 1422/2001، ص54.

ولعل "يوسف خليف" يلخص لنا الخطوط الأساسية لصورة شبه الجزيرة العربية بشكل يجعلنا نتصور مكانا رهيبا كان يعيش فيه الإنسان العربي في الجاهلية حيث يقول:«والخطوط الأساسية لهذه الصورة هي أنها منطقة صحراوية جبلية عرفت الأغوار المنخفضة ذات الحرارة الشديدة والجبال العالية ذات القمم الثلجية، وعرفت مناطق رملية مترامية الأطراف كثيرة المجاهل والمخاوف ثم هي منطقة عرفت الجدب الذي تتعذر معه الحياة حتى يضطر أهلها إلى الهجرة و..... الذي يغري الناس على الاستقرار وإقامة القرى وعرفت المطر يحتبس حتى تصبح البادية غير صالحة للسكن والسيول تتدفق حتى تجرف أمامها كل شيء وعرفت البرد الذي يعقد ذنب الكلب والحر الذي يذيب دماغ الضب ويطيح الإبل ويشويها»[1]

فالطبيعة هي التي صيرت العرب على هذا الحال، والتي غلبت عليهم البداوة، إذ حرمتهم من الماء وجادت عليهم بالرمال وسموم مؤذية وبحراراة شديدة وبأرض متسعة تظهر وكأنها بحر من رمال لا حد له مما ولد فيها إنسان قلق ينتقل من مكان إلى آخر، فالبيئة العربية في الجزيرة كل ما فيها قاس عنيف مناخها برد شديد وحر أشد منه، حيث يصف "الشنفرى" ليلة اشتد فيها البرد حتى أن صاحب القوس يضطر إلى تحطيم قوسه ..... يفقد أهم ما يحتاج إليه ليستدفئ بها فيقول:

ولَيلةِ نَحْسٍ يَصْطَلِي القَوْسَ رَبُّها وأَقْطُعَهُ اللاتِي بها يَتَنَبَّلُ [2]

وهذا امرئ القيس يصف لنا واديا مجدبا مقفرا لا حياة فيه تعوي فيه الذئاب فيقول:

وَوَادٍ كَجَوفِ العَيرِ قَفْرٍ قطعتُهُ ... بِهِ الذئبُ يَعوي كالْخَليعِ الْمُعَيَّلِ

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا عَوَى: أن شَأْنَنَا ... قَلِيلُ الغِنَى أن كُنْتَ لَمَّا تَمَوَّلِ

كِلاَنَا إذا مَا نَالَ شَيْئاً أَفَاتَهُ ... وَمَنْ يَحْتَرِثْ حَرْثِي وَحَرْثَكَ يُهْزَلِ [3]

---

[1] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، ط02، 1959، ص72.

[2] ديوان الشنفرى، تح: اميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1991، ص29.

[3] ديوان امرئ القيس، تح: مصطفى عبد الشافي، ط05، 2004، ص118.

يتضح من خلال هذه الأبيات أن الشاعر قد شبه الواد بجوف العير لأنه جوفه لا ينتفع منه بشيء الوادي بلغة أهل اليمن يقال له الجوف فضرب العرب به المثل.

2.1. أثر التضاد الجغرافي:

كما كانت هذه البيئة الطبيعية عاملا في وجود الفقر حجة ذلك إذا عدنا إلى أهم مرجع يتحدث عن الصعاليك فإننا نراه يعرف لنا الصعلوك بأنه: الفقير الذي يواجه الحياة وحيدا، وقد جردته من وسائل العيش فيها وسلبته كل ما يستطيع أن يعتمد عليه في مواجهة مشكلاتها حيث يقول "يوسف خليف" في هذا الصدد:«فهذه البيئة الصحراوية ذات المناخ الحاد، والمواد الطبيعية المحدودة التي تعتمد على المطر تجود به السماء في فترات متباعدة غير منتظمة والتي يسيطر عليها الجفاف والجدب أكثر شهور السنة، والتي تقع تحت وطأة الطبيعة مباشرة فلا يجد أهلها إذا ما اشتدت عليهم إلا بالهجرة عامل فعال في وجود الفقر».[1]

بناء على ما سبق ذكره، فالسبب الأساسي في هذه الحالة القاسية التي تعانيها الصحراء من ندرة المطر واحتباسه مما أدى بالرحيل الدائم لساكنيها بحثا عن الحياة يكون الكلأ ويكون الماء، فقد انعكس ذلك على أشعارهم فقد صور السليك بن السلكة وما لحق به من فاقة وحاجة قال:

وما نلتها حتى تصعلكت حقبة ... وكدت لأسباب المنية أعرف

وحتى رأيت الجوع بالصيف ضرني ... إذا قمت تغشاني ظلال فأسدف[2]

يتضح من خلال هذين البيتين أنه أصبح خبيرا بالصعلكة لمواجهة الأخطار ومعاناته مع الجوع الشديد أيام القحط الذي يصيبه بالدوار إذا حاول الوقوف، فقد كان لهذا التضاد الجغرافي أثره في نفوس سكان الجزيرة العربية، فقد أوجد في شخصياتهم لونا من العقد منها عقدة الفقر حيث يقول ابن

---

[1] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص74.

[2] ديوان السليك بن السلكة، تح: حميد آدم أسويني وكامل سعيد عواد، مطبعة الألماني، بغداد، ط1، 1984م، ص60.

خلدون:«وذلك أنهم بطبيعة التوحش الذي فيهم أهل انتهاب وعيث ينهبون ما قدروا عليه من غير مغالبة ولا ركوب خطر، ويفرون إلى منتجعهم بالفقر»[1]

من خلال هذا القول، يتضح أن الطبيعة تخلق في أبنائها طبائع خاصة، يتوارثونها وتؤكدها لهم وسائل حياتهم كما قال أيضا ابن خلدون عن طبيعة البيئة أنها:«من شأنها أن تخلق القسوة والعنف، وتعني بطبيعة البيئة ناحيتها الطبيعية وبطبيعة أرضها ومناخها والاجتماعية بوضع الصلات الاجتماعية والاقتصادية بين الجماعات والقبائل والأفراد».[2]

فقد تمثل هذا العنف الذي اقتضته طبيعة البيئة في صراع دائم بين القبائل والغزو والإغارة، فهي من الأسباب الملموسة لهذه الظاهرة.

2. العامل الإجتماعي:

لقد انقسم المجتمع العربي قبل الإسلام إلى قبائل، بحيث كانت القبيلة تمثل النمط الذي يتوزع فيه أفراد الأمة الواحدة إلى جماعات بشرية مستقلة يجمع بين أفرادها النسب المشترك، وتمثل وحدة سياسية واجتماعية، فلقد تشكل مجتمع القبيلة من ثلاث طبقات، حيث يقول "شوقي ضيف":«كانت القبيلة في العصر الجاهلي تتألف من ثلاث طبقات: أبناؤهم وهم الذين يربط بينهم الدم والنسب، وهم عمادها وقوامها وهم رقيقها المجلوب من البلاد الأجنبية المجاورة وخاصة الحبشة والموالي وهم عتقاؤها ويدخل فيهم الخلعاء الذين خلعتهم قبائلهم ونصرتهم عنها لكثرة جرائرهم وجناياتهم»[3]

بناء على هذا القول يمكننا أن نميز ثلاث طبقات:

---

[1] عبد الحليم حنفي، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، الهيئة المصرية للكتاب، 1987، ص63.

[2] عبد الحليم حنفي،المرجع السابق، ص67.

[3] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، ط11، القاهرة، ص67.

الطبقة الأولى: وتشمل أبناء القبيلة من صلب أب واحد، أي هي نقاء الدم الذي يجري في عروق أبنائها فكان الحرص على نقاء النسب وبالتالي نقاء الدم أمرين لهما أهمية كبيرة في حياة القبيلة فهم عمادها.

الطبقة الثانية: تتكون من العبيد المجلوبين وذلك عبر التجارة فهم يمثلون سلعة من السلع المتداولة في عالم التجارة حيث كانت تأتي هذه السلعة البشرية من الحبشة.

الطبقة الثالثة: تحتل مرتبة أعلى نسبيا من منزلة العبيد وتتكون من الذين خلعتهم قبائلهم لكثرة جرائرهم.

كما أننا سنجد العصبية القبلية هي النظام السائد في هذا المجتمع ولما كان النظام قبليا يتطلب بالضرورة أن يكون جميع أفرادها ملتزمين بقضاياها وتقاليدها، ولهذا فقد حرصت القبيلة على وحدتها، فلم تكن تسمح بتجاوز حدودها، فالعصبية على قول جواد علي:«فالعصبية أن يدعو الرجل عصبته إلى نصرته وهي النصرة على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تقيسهم هلكة».

فهي تمثل القاعدة الأولى التي يعتمدها النظام القبلي في العصر الجاهلي وهي تعني نصرة الرجل لأفراد قبيلته ويختص عشيرته بعونه ومساعدته، فالفرد كان له على القبيلة حق الحماية أما القبيلة فلها الفرد الخضوع لرأيها فلا يجوز الخروج عليها وإلا تعرض للهلكة.

ويرى "شوقي ضيف":«وكانوا يعلنون هذا الخلع على رؤوس الأشهاد في أسواقهم ومجامعهم»[1] بحيث كان يتخذ هذا الخلع صورة إعلان رسمي يذاع على الناس في المواسم والأسواق.

فالخلع أشد عقوبة توجه للفرد في هذا المجتمع، فقد ورد في لسان العرب:«والخليع الرجل يحتى الجنايات يؤخذ بها أولياؤه فيتبرأون منه ومن جناياته»[2] ومنه فالخلع هو نوع من العقاب الذي تفرضه القبيلة على أحد أفرادها ويقول "يوسف خليف":«أن الخلع يحدث لأسباب عديدة تدور كلها في محور واحد وهو خروج الفرد عن وحدة القبيلة ورضاها مما يجعلها في موقف حرج من ممارسته، فتضطر إلى

[1] شوقي ضيف، المصدر السابق، ص67.

[2] ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، ج08، ص78.

أن تخلعه وتتبرأ منه من أفعاله وتصرفاته السيئة، فتطرده من حماها وتعلن أنها قد خلعته، وأن صلته بها قد انقطعت وانتهت وأنها تخلت عن حمايتها».[1]

كان على الفرد في القبيلة أن يخضع لرأيها، بحيث لا يكون سببا في تفريق كلمتها ووحدتها أو الإساءة لسمعتها فإنه غن فعل ذلك فإنه يعرض نفسه للخلع كموقف قبيلة "خزاعة" مثلا من قيس بن الحدادية حيث يقول:

سَقى اللهُ أَطلالًا بَنُعمٍ تَرادَفَتْ *** بِهِنَّ النُوى حَتّى حَلَلنَ المَطالِيا

فَإِن كانَتِ الأَيّامُ يا أُمَّ مالِكٍ *** تُسَلّيكُمُ عَنّي وَتُرضي الأَعادِيا

فَلا يَأمَنَن بَعدي امرِؤٌ فَجعَ لَذَّةٍ *** مِنَ العَيشِ أَو فَجعَ الخُطوبِ العَوافِيا

وَبُدِّلَت مِن جَدواكِ يا أُمَّ مالِكٍ *** طَوارِقُ هَمٍّ يَحتَضِرنَ وَسادِيا

وَأَصبَحتُ بَعدَ الأُنسِ لابِسَ جُبَّةٍ *** أُساقِي الكُماةَ الدارِعينَ العَوالِيا

فَيَومايَ يَومٌ في الحَديدِ مُسَربَلا *** وَيَومٌ مَعَ البيضِ الأَوانِسِ لاهِيا

فَلا مُدرِكًا حَظًّا لَدى أُمِّ مالِكٍ *** وَلا مُستَرِيحًا في الحَياةِ فَقاضِيا[2]

فالشاعر لم تعد حياته كما كانت في حضن القبيلة وحمايتها بعد ان حرم من هذه الحماية التي تعطيه الأمن والطمأنينة، وبعد أن تحول الحب وما يعطيه من بهجة وإيناس في حياته إلى هموم، فقد تحولت حياة الشاعر في غربته هذه إلى صراع دائم مع الفوارس والأبطال من أجل البقاء حيا وإلا فهو لا جدوى من ورائه ولا إشباع حينا آخر، ولم تقف مأساة الشاعر عند خلع قبيلة له وإنما ما في هذا الخلع من مأساة، ومن هنا كان الأنين الذي يشيع في شعره بعد أن تخلت القبيلة عنه وخلعها إياه ومع رحيل محبوبته.

---

[1] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص93.

[2] عبد القادر عبد الحميد زيدان، التمرد والغربة في العصر الجاهلي، ص66.

وهذا إلى جانب قول "إحسان سركيس":«والصعاليك قوم خرجوا عن طاعة بيوتهم وعشائرهم لأسباب عديدة منها عدم إدراك أهلهم أو قبيلتهم وهروبهم منه والعيش عيشة الذؤبان معتمدين على أنفسهم في الدفاع عن حياتهم، وعلى قوتهم في تحصيل ما يعتاشون منه بالإغارة على الطرق والمسالك وبمهاجمة أحياء العرب أفرادا وطوائف»[1]، فقد أدى عدم الانسجام بينهم وبين قبائلهم إلى نفورهم وخروجهم عن طاعة مجتمعاتهم، فقد وجد بعض الشعراء أنفسهم في وضع لم يستطيعوا فيه أن يتوافقوا أنفسهم وصل بهم الحد إلى الخروج على المجتمع والتمرد عليه، فهذا المجتمع القائم على العرف القبلي كان يقهر أفراده ويطرد من يخرج على أعرافه إذا أصبحوا مطلوبين من قبائل أخرى نتيجة قيامهم بالإغارة عليها، مما يحيون على طريقتهم الخاصة وخلق نظام جديد يمكننا تقسيم مجتمع الشعراء الصعاليك إلى ثلاث مجموعات:

المجموعة الأولى تضم الخلعاء والشداد: وهي تشمل الشعراء الذين خلعتهم قبائلهم لكثرة جرائرهم ونذكر منهم: قيس بن الحدادية، حاجز الأزدي، أب الطمحان القيتي.

المجموعة الثانية: تضم أبناء الحبشيات السود الذين نبذهم آباؤهم ولم يلحقوا بهم العار وهم: السليك بن السلكة وتأبط شرا والشنفرى.

المجموعة الثالثة: فهي من احترفوا الصعلكة بسبب من أسباب الرفض على الأوضاع التي فرضتها القبيلة وعلى رأسهم عروة بن الورد.

ومن هؤلاء تألفت عصابات الصعاليك وجمع بينهم الفقر والتشرد والظلم، كان ذلك بسبب الخلل في النظام القبلي أدى إى فقدان الفرد بمجتمعه قائمة على أساس السلوك الصراعي مما أدى بالصعلوك إلى رفض التشكيل الاجتماعي لمجتمعه والثورة عليه والبحث عن تشكيل جديد يتفق ورؤيته، حيث يقول الشنفرى:

أَقيموا بَني أُمّي صُدورَ مَطِيَّكُم فَإِنّي إِلى قَومٍ سِواكُم لَأَمَيلُ

[1] إحسان سركيس، مدخل إلى الأدب الجاهلي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط01، ص192.

وَفي الأَرضِ مَنأى لِلكَريمِ عَنِ الأَذى وَفيها لِمَن خافَ القِلى مُتَعَزَّلُ[1]

من خلال هذين البيتين يتضح لنا بأن الشاعر يهرب بنفسه من عالمه البشري إلى عالم الوحوش.

ويقول أيضا:

وَلي دونَكُم أَهلَونَ سيدٌ عَمَلَّسٌ وَأَرقَطُ زُهلولٌ وَعَرفاءُ جَيأَلُ

هُمُ الرَهطُ لا مُستَودَعُ السِرَّ ذائِعٌ لَدَيهِم وَلا الجاني بِما جَرَّ يُخذَلُ[2]

فلقد اختار الشنفرى مجتمعه المتكون من الذئب والنمر والضبع ليكونوا أهلا له بدلا من عالمه الحقيقي وهذا راجع لما وجده عند هذه الحيوانات المفترسة ما لم يجده عند أهله من البشر، فالسر عندهم مصون لا سبيل إلى إفشائه.

ويقول تأبط شرا:

يَبيتُ بِمَغنى الوَحشِ حَتّى أَلِفنَهُ .... وَيُصبِحُ لا يَحمي لَها الدَهرَ مَرتَعا

رَأَينَ فَتىً لا صَيدُ وَحشٍ يُهِمُّهُ .... فَلَو صافَحَت إِنساً لَصافَحنَهُ مَعا[3]

فالشاعر أنه ألف الوحش، فقد ملأ الفراغ الذي كان في نفسيته.

3. العامل الاقتصادي:

يعد العامل الاقتصادي أحد العوامل المهمة والمؤثرة في حياة الفرد وتنشئته، فقد يكون الفقر والحرمان مدعاة للتمرد على قوانين المجتمع، فإذا ما نظرنا إلى العصر الجاهلي، فإننا نجده بالرغم من

---

[1] ديوان الشنفرى، تح: اميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1992، ص58.

[2] ديوان الشنفرى، المصدر السابق، ص59.

[3] ديوان تأبط شرا وأخباره، تح: علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الاسلامي، ط01، 1984، ص115.

بساطته يشهد تفاوتا طبقيا وتمييزا عنصريا قويا، فحياة العرب المعيشية لم تكن تختلف عن الأمم الأخرى «فسكان المدن العامرة في اليمن، ومكة ويثرب والحيرة غير سكان البادية الموغلين في الصحراء، وسكان المدن أيضا يختلفون في مستوياتهم، فمنهم التاجر الغني والعبد الرقيق»[1]، ومن هذا التفاوت الطبقي ومن ذلك التقدير والاحترام للغني والتقليل من شأن الفقير، نشأ مذهب الصعلكة، وما يؤكد ذلك ما نجده في أشعارهم، ومثال ذلك:

ذريني للغنى أسعى فإني رأيت الناس شرُّهم الفقيرُ

وأدناهم وأهْوَنُهم عليهم وإن أمسى له حسبٌ وخِيرٌ

يباعده القريبُ وتزدريه حليلته، ويقهره الصغيرُ

ويُلْقى ذو الغنى ولهُ جلالٌ يكاد فؤاد لاقيهِ يطيرُ[2]

يريد الشاعر أن يقيم موازنة بين معاملة الناس في مجتمعه للغني والفقير، وكيف يرى أن الفقير دائما ما يعاني من الانتقاص والهوان، وأن مجتمع القوم يقصونه وتنبذه زوجته، حتى الصغير ينهره، أما بالنسبة للغني يلقونه بكل فرحة وسرور.

ومن كل هذا تتضح لنا صورة المجتمع آنذاك، من إكرام الغني وإذلال الفقير، ما جعل فئة من الناس يتخذون من التمرد والصعلكة نهجا يغنيهم عن العيش في ذل مجتمع يقصيهم وينبذهم، فاختاروا أن يؤسسوا مجتمعا وفق قوانينهم وما يرضيهم هم، وما يؤكد أن العامل الاقتصادي سبب في تصعلكهم وتمردهم أننا نجد أشعارهم جميعا تموج «بصيحات الفقر والجوع، كما تموج أنفسهم بثورة عارمة على الأغنياء والأشحاء».[3]

---

[1] يحي الجبوري، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط07، دت، ص75.

[2] عمر فروخ، المصدر السابق، ص213.

[3] شوقي ضيف، المصدر السابق، ص375.

المبحث الثالث: أهداف الصعاليك.

لقد حقق الصعاليك التضامن إذ عطف بعضهم على بعض وشارك بعضا في الأسلاب، وتقاسموا ما غنموا وأشركوا في القسمة إخوانهم العاجزين، تجسد هذا التضامن في شخصية عروة بن الورد، هذا التضامن جعل منه شخصية تكاد تكون عامة وليرتفع عنده إلى مستوى الواجب الأخلاقي، يقول عروة:

إنّي وإياكم كذي الأم أرهنت لهُ ماء عينها تفدي وتحمل[1]

وهو يصور نفسه بالنسبة لهم كالأم الحنون التي لا تبخل على وليدها بأعز ما تملك.

أضف إلى ذلك مع ذكر عن امرأته وهي تصده عن المخاطرة بنفسه في غارات الصعلكة، فيقول لها:«إنه يطلب الغنى، ولكن ليس لنفسه، وإنما لإغاثة المنكوبين الذين تفجؤهم المغارم»[2]

وفي هذا يستعظم عروة أن يرى أحدا منكوبا ويجد نفسه عاجزا عن عونه ويرى الموت خير له من هذا العجز، فيقول:

دعِيني أُطوّفْ في البلادِ، لعلّني أُفِيدُ غِنًى ، فيه لذي الحقّ محمِلُ

أليس عظيماً أن تلم ملمة وليس علينا في الحقوق معول

فإن نحن لم نملك دفاعاً لحادث تلم به الأيام فالموت أجمل[3]

---

[1] أسماء أبو بكر، ديوان عروة بن الورد امير الصعاليك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص92.

[2] عبد الحليم، المرجع نفسه، ص347.

[3] أسماء أبو بكر، المصدر السابق، ص97.

كان عروة بن الورد إذا أصابت الناس سنة شديدة تركوا في دراهم المريض والكبير والضعيف، وكان عروة يجمع أشباه هؤلاء دون الناس من عشيرته في الشدة ثم يحفر لهم الأسراب ويكتنف عليهم الكنف ويكسبهم ومن قوى منهم، أما مريض برأ من مرضه أو ضعيف تنوب قوته خرج به معه فأغار، وجعل لأصحابه الباقية في ذلك نصيب حتى إذا أخصب الناس، وألينوا وذهبت السنة ألحق كل إنسان بأهله منهم، وقد استغنى، فلذلك سمي عروة الصعاليك[1] يعني هذا أن هدف عروة كان إيجابيا بالقدر الذي يتيح له أن يكون، لهذا يعد عروة زعيم الصعاليك، فقد لقب بأبي الصعاليك، حيث كان يجمع الصعاليك ويقوم بأمرهم في غزواتهم، وكان يهدف من كسب المال أن يؤدي لإخوانه الصعاليك حقوق وكان يؤلمه أن تنزل بهم نازلة.

حيث يقول يوسف خليف:«وإنما كان إنسانا بكب ما في الإنسانية من معان، يحرص على الاتصال بمجتمعه الإنساني والعمل من أجله»[2]

في ظل الظروف القاسية التي عرفها الصعاليك رفع مبدأ الإنسانية كانت محط إعجاب المجتمع وضرب أمثال، ولهذا أعجب به الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان يقول: «ما يسرني أن أحدا من العرب ولدني ممن لم يلدني[3]، إلا عروة بن الورد لقوله:

إني امرؤ عافي إنائي شركة وأنتَ امرؤ عافي إنائِكَ واحدُ

اتهزأ مني أن سمنت وأن ترى بوجهي شحوبَ الحقِّ، والحقُّ جاهد

أُقسّمُ جسمي في جسوم كثيرة وأحسو قراح الماء والماء بارد [4]

فمن هذه الأبيات فعروة بن الورد يجد رائج إصلاحي اجتماعي فهو يدعو إلى جوانب إنسانية.

---

[1] عبد القادر عبد الحميد زيدان، التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، ص76.

[2] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص135.

[3] محمود حسن أبو ناجي، الشنفرى، شاعر الصحراء الأبي، الجزائر، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007، ص38.

[4] المرجع نفسه، ص38.

انتهج الصعاليك أسلوب الإغارة والسلب على الأغنياء بهدف تحقيق المساواة فيما بينهم وبين الأغنياء من فوارق لأن الثروة كانت موزعة بطريق لهم ينالوا شيئا مما دفع بهم إلى الغزو والسلب من أجل تحقيق لقمة العيش وهذا ما ورد من أخبار عروة بن الورد أجدب الناس من بني عبس في سنة أصابتهم فأهلكت أموالهم وأصابهم جوع شديد وبؤس فأتوا عروة بن الورد فجلسوا أمام بيته، فلما بصروا به صرخوا وقالو: يا أبا الصعاليك أغثنا، فرق لهم وخرج ليغزوا بهم ويصيب معاشا.[1]

وكذلك مالك بن الريب، حينما سأله سعيد بن عثمان الوالي قائلا:«ويحك يا مالك بأن سببا واحدا يدعو إلى هذا العداء وقطع الطريق، ولم يكن هذا السبب طلبا لنفس شخصي وإنما كان مظهر من مظاهر الاشتراكية جيث أجابه قائلا: أصلح الله الأمير العجز عن مكافأة الإخوان»[2] فإن هذا في هذا القول عدة مبادئ واضحة وهي الدعوة إلى الغزوة في سبيل الحصول على الزاد لتوزيعه على المحرومين، فالدوافع عند الصعاليك في العصر الجاهلي دوافع نابعة من الشفقة والرحمة والإنسانية، لهذا نجد في أخبار عن الإنسانية كثيرة متعددة الجوانب، وقد عرف المجتمع فيهم هذه الصفة حتى أصبحوا مضرب المثل ففي أمثالهم كل صعلوك جواد، فكانت هذه الصفة أصيلة في نفوسهم تمثلت في الإيمان بأن ما في أيديهم ينبغي أن يكون بينهم وبين غيرهم وبأنه لا ينبغي أن يترك بائس دون عون أو رعاية.

وحين نذهب إلى شعرهم نجده يفيض بصور الكرم والعون، فالشنفرى يرسم لنا صورة من صور التعاون في حياة الصعاليك حيث جعلوا زادهم وكل ما يكسبونه من قوت إلا واحد منهم وهو تأبط شرا، وكان يعولهم كما تعول الأم ولدها ويتحكم في الانفاق عليهم كما يشاء يما يقتضيه ظروف الرحلة، فيقول:

وَأُمُّ عِيَالٍ، قَدْ شَهِدْتُ، تَقُوتُهُمْ إذا أَطْعَمَتْهُمْ أَوْتَحَتْ وَأَقَلَّتِ

تَخَافُ عَلَيْنَا العَيْلَ إنْ هي أَكْثَرَتْ وَنَحْنُ جِيَاعٌ أيَّ آلٍ تَأَلَّتِ

---

[1] عبد الحليم، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص344.

[2] المرجع نفسه، ص345.

وما إن بها ضن بما في وعائها ... ولكنها من خيفة الجوع أبقت [1]

ويقول سعيد بن ناشب على تعاونه أيضا بأنه حين يغنى فغناه شركة بيته وبين الناس فيقول:

أن تعذليني تعذلي بين رزءا كيم نتا الأعسار مشترك اليسر[2]

هكذا نجد أن مبادئ الإنسانية تجسدت في نفوسهم الصعاليك في بيئة فرضت عليهم أوضاعها وقسوتها وجدبها.

[1] عبد الحليم، المرجع السابق، ص 348.

[2] المرجع نفسه، ص349.

الفصل الثاني

دراسة فنية للامية العرب

المبحث الأول: التخلص من المقدمة الطللية.

من الخصائص التي تميزت بها لامية العرب عدم وجود مقدمة غزلية أو ذكر الأطلال كعادة الشعراء العرب في الجاهلية ذلك أن معظم قصائد الصعاليك كانت مقطوعات لا قصائد وهذا ما عبر به يوسف خليف بقوله:«أن المقدمات الطللية تخل بطبيعة الحال بهذه الوحدة الموضوعية وفيما عدا ذلك تلك المجموعة التقليدية التي أشرنا إليها لا نعثر فيما بين أيدينا من شعر الصعاليك على مقطوعة أو قصيدة تبدأ بمقدمة غزلية، وإنما اتخذ الشعراء الصعاليك لهم مذهبا آخر استعاضوا به عن هذه المقدمات».[1]

فالمذهب الذي سلكوه و.استعاضوا به هو ذكر مقدمات الفروسية وذلك راجع بسبب عدم استقرارهم من جهة ولأنهم مشغولون بالإغارة والتربص بالقوافل من جهة أخرى.

وقد عبر عن هذا الاضطراب في حياة الصعاليك شاعر صعلوك وهو عمر بن براقة في أبيات له تصف حياة هؤلاء الشجعان:

تقول سليمى لا تعرض لتلفة ... وليلك عن ليل الصعاليك نائم

وكيف ينام الليل من جل ماله ... حسام كلون الملح أبيض صارم

غموض إذا عض الكريهة لم يدع ... ألم تعلمي أن الصعاليك نومهم

له طمعا، وطوع اليمين ملازم ... قليل إذا نام الخلي والمسالم[2]

يتضح من خلال هذه الأبيات أن حياة هؤلاء الصعاليك دوما في ترقب وتربص وترصد يعكس حال الصعلوك الخامل الذي يقضي ليله نائما دون سعي إلى تحقيق أماني، إلى جانب هذا أن أشعار هؤلاء الصعاليك كانت تأتي عفويا دون تكلف فهي تعبر عن ما يدور في خواطرهم وحياتهم لعل ما يدعم هذا قول يوسف خليف بحيث يقول:«رد تخلص الشعراء الصعاليك من المقدمات في قصائدهم

---

[1] يوسف خليف، الشعراء لصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، ط2، 1959، ص268.

[2] محمد حسن أبو ناجي، الشنفرى شاعر الصحراء الأبي، الجزائر، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007، ص65.

إلى طبيعة حياتهم تلك الحياة القلقة المشغولة بالكفاح في سبيل العيش والتي لا تتيح الفرصة ولا تهيء الوقت كي يفرغوا النص»[1] ومعنى هذا تخلصهم من المقدمات راجع إلى طبيعة حياتهم.

فالشاعر الصعلوك لم تكن لديه الأطلال التي يقف عندها ويبكي الأطلال تعني عند الشاعر الفقد المستمر الذي يطالعه في الحياة والفقد يجمل معنى الملكية الذاهبة على أي صورة كانت هذه الملكية ولكن الشاعر الصعلوك لم يكن لديه ما يفقده، وكانت الحياة عنده أسوأ من الحياة ومن الفقد، وإذا كانت هموم الوجود والعدم تمثل عاملا ضاغطا على فكر الشاعر وأحاسيسه وهو يقف في مواجهة الأطلال، فقد كان الوجود ذاته يمثل عاملا ضاغطا على فكره وأحاسيسه ولا تعني بذلك أن الشاعر الصعلوك لم يكن مهموما أو مشغولا بالعدم، إنما كان الصعلوك يريد أن يشعر بذاته بغية تغيير الواقع والانتصار عليه، لقد كان شغله الشاغل هو كيف يحقق حريته فالإنسان لا يكون إنسانا إلا داخل عالم إنساني، وعليه في هذه الحالة أن يجاوز حدود العالم الحيواني حيث تتعدى رغبة الموجود فيه.

وعلى هذا النهج سار الشنفرى إذ أنه لم يبدأ بغزل ولم يذكر الأطلال التي شغفت قلوب شعراء الجاهلية.

وتعد مقدمة قصيدته لامية العرب:

أَقيموا بَني أُمّي صُدورَ مَطِيَّكُم. فَإِنّي إِلى قَومٍ سِواكُم لَأَمَيلُ [2]

فهي من أروع المقدمات وقد عدها صاحب الآمالي:«أنها من المقدمات في الحسن والفصاحة والطول» ومن هذا نلمس صدق الشنفرى في تعبيره عن نفسيته المضطربة الحائرة من جهة، ثم أنها وضحت الطريق أمام الصعاليك الآخرين من ضرورة عدم الحرص على الحياة والترفع عن الدنايا واتخاذ الحيوان صديقا وفيا، وعدم مجاورة أهل الظلم والارتحال والاغتراب طلبا للكرامة والعزة النفسية، وهذه الظاهرة شملت أشعار الشنفرى كلها.

---

[1] حسين عطوان، مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ص110.

[2] اميل بديع يعقوب، ديوان الشنفرى، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1991، ص58.

المبحث الثاني: لغة القصيدة

أ. المعجم الشعري:

يشمل المعجم الألفاظ التي استخدمها الشاعر في قصيدته حيث يرى "عمر محمد الطالب":«أن المعجم الشعري الجاهلي لا يختلف في المفردات للحقول الدلالية الكبرى، بل هناك حقول أساسية يمكن اعتبارها محاور يشترك فيها أغلب النتاج الشعري لذلك العصر وهي:

- علاقة الشاعر الصعلوك بالطبيعة والحيوان والنبات.
- علاقته بالإنسان وأحواله من أجل الحصول على القوت.
- تعامل الشنفرى مع القيم».[1]

ويمكن تصنيف المعجم الشعري وبنيته اللغوية بما يلي:

أ. معجم الطبيعة والصحراء والحيوان.
ب. معجم الأعلام والمواقع والحرب.

أ. معجم الطبيعة:

الألفاظ الدالة على الطبيعة هي: الجبل، الأرض والصحراء والمناخ أما الألفاظ الدالة على الجبل فهي: الشعاب، القنة، الكبح، أغفل وأما الألفاظ الدالة على الأرض والصحراء هي الأرض، البهماء، الأمعز، الصوان، ترب، التنائف، البراح، الرمل، الخرق، قفر وأما الألفاظ الدالة على المناخ فهي النمس، البغش، الأرزيز، الأفكل، الشعري، الرمضاء، الريح.

ومن أمثلة ذلك قوله:

وفي الأَرْضِ مَنْأَى لِلْكَرِيمِ عَنِ الأَذَى وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ القِلَى مُتَعَزَّلُ [1]

[1] عمر محمد الطالب، عزف ووتر النص الشعري (دراسة في تحليل النصوص الأدبية الشعرية)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000، ص49.

كما هو معروف أن معجم البيئة الصحراوية كانت دلالته التي استخدمها الشاعر تأخذ معنى القسوة.

وأما مناخ الصحراء فتمثل في الحرارة الشديدة وبرودة أشد منه ولعل أبرز ما نلحظه في توظيف المفردات التي تدل على الطبيعة فقد وظفت بصورة تعكس حالة الشاعر التي عاناها من التشرد والطرد الاجتماعي والهروب نحو الطبيعة.

فالطبيعة هي التي صيرت الشاعر على هذه الحالة وأثرت في حياته وبالتالي انعكس ذلك على شعره.

ثانيا: أما المفردات التي تدل على الحيوان، فقد استعملها الشنفرى بصورة واضحة ومن أمثلة ذلك قوله:

وَلي دونَكُم أَهلَونَ سيدٌ عَمَلَّسٌ وَأَرقَطُ زُهلولٌ وَعَرفاءُ جَيأَلُ

وَتَشرِبُ أَسآرِيَ القَطا الكُدرُ بَعدَما سَرَت قَرَباً أَحناؤُها تَتَصَلصَلُ [2]

لقد وظف الشاعر حيوان الوحش من أمثلة على سبيل المثال الذئب بتسميات مختلفة السرحان، العملس، الأزل وهذا يؤكد اهتمام الشاعر بالحيوان ويرجع سبب ذلك أن الشاعر قد اعتزل عن مجتمعه واختار الانضمام إلى مجتمع الوحوش.

ثالثا: معجم الأعلام

فالألفاظ التي تدل عليها هي أحاظة الشنفرى، أما معجم المواقع فالألفاظ الدالة عليها هي الغميضاء، جالسا.

---

[1] ديوان الشنفرى، إميل بديع يعقوب، ص58.

[2] المصدر نفسه، ص59.

رابعا: معجم الحرب

فالمفردات التي تدل على الغزو منها (جنايات، أيمت، تسواتا، أيتمت، إلدة، عدت كما أبدت، دعست، القيسي، أبيض صارم، أصليت صفراء، اليحمل، الأقطع، الترس).

ومن أمثلة ذلك قوله:

طَرِيدُ جِنَايَاتٍ تَيَاسَرْنَ لَحْمَهُ عَقِيرَتُهُ لأَيِّها حُمَّ أَوَّلُ [1]

فمعجم الغزو يمثل جانبا مهما في حياة الشاعر فالغزو أهم ما برز في شعره وكيف لا وهو نشأ في بيئة القتال، وقد دلت ألفاظ الحرب على حاجة الشاعر لمثل هذه الألفاظ لوصف بطولاته التي خاضها ويمثل أيضا حتمية الصراع من أجل البقاء.

ومن كل هذا نستنتج أن اللغة الشعرية اتسمت بالتوحش والقسوة وهي تعكس حياته التي عاشها، لذا نجد سمة التوحش هي السمة الظاهرة التي مست المعجم الشعري عند "الشنفرى".

ب. الصور البلاغية:

لقد احتلت الصور الفنية مساحة مهمة وتنوعت من تشبيه واستعارة وكناية كان لها مساهمة مهمة في إضفاء عناصر بلاغية وجمالية ووظيفية على القصيدة.

فإذا أردنا أن نتحدث عن التشبيه نجد أن الشاعر قد استخدمه بكثرة على غرار الاستعارة والكناية حيث يقول "يوسف خليف"«ولعل التشبيه أقوى الأدوات الفنية التي اعتمد عليها الشعراء الصعاليك في شعرهم وهو لون يتفق تماما مع هذه السرعة الفنية التي لاحظناهاإ إذن الصنعة الفنية في التشبيه صنعة سريعة لا تتجاوز عقد موازنة بين أمرين يشتركان في المعنى».[2]

[1] ديوان الشنفرى، المصدر السابق، ص68.

[2] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص297.

هذا يعني أن نزوع الشاعر نحو توظيف التشبيه يؤكد تلك السرعة التي وسمت شعره وشعر رفاقه الصعاليك أما المصدر الأساسي الذي يستمد منه الشاعر مادة لصوره التشبيهية، فقد استغل حيوان الصحراء ووحشها وطيرها وحشراتها استغلالا واسعا.

ومن أمثلة التشبيه قوله:

هُمُ الأَ هْلُ لا مُسْتَودَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ لَدَيْهِمْ وَلاَ الجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ[1]

في هذا البيت يعلن الشاعر أنه قطع صلته بقومه وانضم إلى عالم جديد وهو عالم الوحوش، ففي هذا البيت عقد مشابهة بليغة بينه وبين الحيوانات الذي وجد فيهم الأنس ولم يجده في عالمه الإنساني وهذا النوع من التشبيه يسمى تشبيه بليغ الذي يعتمد فيه على المشبه والمشبه به ويستغني عن الأداة بحذفها فالتشبيه في هذا البيت هم الأهل والغرض منه تقريب صورة المشبه (عالم الوحوش) إلى النهي وإظهار حقيقته.

إذا زَلَ عنها السَّهْمُ حَنَّتْ كأنَّها مُرَزَّأةٌ عَجْلَى تُرنُّ وَتُعْوِلُ[2]

شبه الشاعر القوس (المشبه) بالناقة (المشبه به)، فالملاحظ في هذا التشبيه أن القوس تصدر صوتا عند انطلاق السهم منها يشبه صوت الناقة عند موت صغيرها فهما يشتركان في الصوت الذي يمثل وجه الشبه، وما يميز هذا الشبه من حدة وألم وكما هو معروف أن القوس من الوسائل المحببة للشاعر، لذلك تأثر بالرنين الذي ينبعث من القوس حين ينطلق منها السهم، فشبيه هذا الرنين الحزين بأبلغ صوت تعرفه البيئة في الحزن وهو حنين الناقة على ولدها حين تفقده.

ولا خرق هيق كأن فؤاده ... يظل به المكاء يعلو ويسفل[3]

[1] ديوان الشنفرى، المصدر السابق، ص59.

[2] المصدر نفسه، ص 60.

[3] ديوان الشنفرى، المصدر السابق، ص61.

شبه الشاعر الموصوف بصفة الحين (المشبه) والطائر الهيف وهو ذكر النعام (المشبه به) والذي يعرف بشدة النفور والخوف ووجه الشبه حالة الاضطراب وقد استعان الشاعر عن المشبه بالنفي والغرض من هذا التشبيه هو أن الشاعر يبعد عن نفسه هذه الصفة والأصل هو الذي أراده هو أنه ليس بهدف.

مُهَلْهَلَةٌ ، شِيبُ الوجوهِ ، كأنها, قِداحٌ بكفيَّ ياسِرٍ ، تتَقَلْقَلُ[1]

من الواضح أن الشاعر في حديثه عن الذئاب الجائعة الباحثة عن الطعام، والتي وصفها بالتحول من آثار الجوع وبياض شعر وجوهها، فهي مضطربة كسهام بأيدي مقامر فهي شبيه بالسهام التي تتميز بالضعف، وكأنما أراد الشاعر أن يعطي صورة التشبيه التي تتمثل في حديثه عن عشيرة الذئاب التي استصرخها ذاك الذئب الجائع مستغيثا بها، فقد اعتمد على تشبيه تلك الذئاب العاوية من الجوع بقداح عند اضطرابها في كف مقامر.

بناء على ما سبق ذكره، فقد استطاع الشاعر من خلال هذا التشبيه أن يدرك الصفة المشتركة بين تحول الذئاب وتقلقل السهم في يد المقامر.

مُهَرَّتَةٌ فُوهٌ كَأَنَّ شُدُوقَها شُقُوقُ العِصِيِّ كَالِحَاتٌ وَبُسَّلُ[2]

فالواضح من استخدام الشاعر لفظة مهرتة ليبرز لنا حالة الذئاب واسعات الأشداق، فقد أراد الشاعر أن يضفي على وصف الذئاب نوعا آخر من الصفات التي تؤكد جوعها وتشردها، فيصفها بأنها فاتحة أفواهها وأن شدوقها واسعة كأنها الشقوق في العصي فتصبح كريهة المنظر.

والغرض من هذا التشبيه هو إبراز مدى صفة قبح هذه الذئاب

ضَجَّ وَضَجَّتْ بالبَرَاحِ كأنَّها وإيّاهُ نُوحٌ فَوْقَ عَلْيَاءَ ثُكَّلُ[3]

---

[1] المصدر نفسه، ص 64.

[2] المصدر نفسه، ص65.

[3] ديوان الشنفرى، المصدر السابق، ص65.

لقد اختار الشاعر هذا الذئب منها ليكون هو المصوت ولعل الشاعر يرى نفسه مجسدا في هذا الفرد من القطيع، الذي يصوره وكأ،ه في مأتم تنوح فيه الثكالى.

فقد ركز على إبراز ذلك الذئب من خلال الصورة التشبيهية التي أحدثها الشاعر بينه وبين الذئب، وهذا ما جعل من الذئب مرادفا للشاعر وجعله المحور الذي تدور حوله عملية الوصف والغرض منه هو بيان صفة العويل التي جعلها ما تكون أشبه بنساء فقدن أولادهن.

أما النماذج من الصور البلاغية الاستعارية:

ا الأَمْعَزُ الصَّوَّانُ لاقَى مَنَاسِمِي تَطَايَرَ منهُ قَادِحٌ ومُفَلَّلُ[1]

فالشاعر يشبه نفسه بالبعير، فحذف المشبه به وترك أحد لوازمه (مناسم) على سبيل الاستعارة المكنية.

من خلال هذه الصورة فهو يجسد نفسه في صورة بعير يعدو وذلك كما يعرف عن الشاعر بالعدو التي تميز به فتشبه بخفي بعير.

دَعَسْتُ على غَطْشٍ وَبَغْشٍ وَصُحْبَتي سُعَارٌ وإرْزِيزٌ وَوَجْرٌ وَأفَكَلُ[2]

أكد الشاعر في هذه الصورة الاستعارية على تحديد الطبيعة من الغطس (الظلمة الشديدة) والبغش (المطر) والسعار (الحر الذي يشعر به الانسان حين يشتد عليه الجوع) والارزير (البرد الشديد) والوجل (الخوف) والأفكل (الرعدة من الصقيع) فهو ألف عناصر الطبيعة.

فقد جسد الشاعر هذه المظاهر الطبيعية المخوفة في صورة الإنسان المصاحب، فقد حذف المشبه به وترك أحد لوازمه (صبحتي) على سبيل الاستعارة المكنية.

ويومٍ من الشِّعْرَى يَذوبُ لُوَابُهُ أفاعِيهِ في رَمْضائِه تَتَمَلْمَلُ[1]

---

[1] المصدر نفسه، ص62

[2] المصدر نفسه، ص70.

في هذا البيت يتعرض الشاعر إلى وصف يوم من أيام الصحراء الحارة وما يميز هذا اليوم الحار حيث يُرى فيه السماء بوجود خيوط ذلك من أثر الرطوبة تشبه خيوط العنكبوت.

لهذا استخدم الشاعر هذه الصورة ليقرب للمتلقي المشهد، فقد شبه الشاعر هذا اليوم الحار بالعنكبوت التي تطلق لعابا وقد حذف المشبه به وترك أحد لوازمه (يذوب لعابه) على سبيل الاستعارة المكنية.

أما فيما يخص الكناية فأمثلة ذلك قوله:

فَقَد حُمَّت الحاجاتُ واللَيلُ مُقمِرٌ وَشُدَّت لِطِيّاتٍ مَطايا وَأَرُحلُ[2]

يتعمد الشاعر في هذا البيت إلى اصطناع الكناية لتحقيق الإيماء والتلميح في تبرير قراره، بمقاطعة قومه حيث يشير الأسلوب الكنائي (والليل مقمر) إلى وضوح الأمر وانكشافه حيث لم يعد مجال للتردد.

وَأَطْوِي على الخَمْصِ الحَوَايا كَما انْطَوَتْ خُيُوطَةُ مارِيٍّ تُغَارُ وتُفْتَلُ[3]

يدور معنى هذا البيت حول صبر الشاعر على الجوع ويتضح ذلك من قوله وهو يطوي أمعاءه كالخيوط فهذا كناية عن الجوع الذي كان يتعرض له أحيانا كثيرة.

ج. الموسيقى:

تعد الموسيقى من أبرز المظاهر الملازمة للشعر، إذ لا يمكن الاستغناء عنها، فكل قصيدة تحمل نغمة معينة تترجم أحاسيس الشاعر الحزينة أو السعيدة، وعليه سنقوم بدراسة موسيقى "لامية العرب"، واكتشاف أهم المظاهر الموسيقية التي حملتها.

---

[1] ديوان الشنفرى، المصدر السابق، ص71.

[2] المصدر نفسه، ص58.

[3] المصدر نفسه، ص63.

الموسيقى الخارجية:

في بداية الأمر، كان يجب علينا اكتشاف بحر القصيدة، وذلك من خلال القيام بالكتابة العروضية، فقد جاءت القصيدة على البحر الطويل مثلما هو موضح فيما يلي:

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكُمْ	فَإِنِّي إلى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَأَمْيَلُ
أَقِيمُوا بَنِيْ أمْمِيْ مَطِيِّيكُمْ	فَإِنْنِيْ إلىْ قومنْ سواكم لأميلوْ
0//0// 0/0// 0/0/0// 0/0//	0//0// /0// 0/0/0// 0/0//
فَعُولنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُ مَفَاعِلُنْ	فَعُولنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولنْ مَفَاعِلُنْ

وقد ساعد طول هذا البحر في إبراز عاطفة الشاعر المتمثلة في الحزن، إذ أنه لا يدعو نفسه الاستعداد لرحيله عنهم، بل يدعوهم للاستعداد لرحيله هو، فهو قد وجد أهلا غيرهم، وهم لن يجدوا بديلا له.

أما بالنسبة لقافية القصيدة، فقد جاءت على حرف اللام وهو من الحروف المجهورة، وقد نسبت هذه القصيدة إلى رويها، فسميت بلامية العرب، كما وقد تناسب روي اللام مع القصيدة، حيث حمل معاني اليسر، والليونة في الحديث، فهو مناسب لما يحمله الشاعر من نصح وإرشاد لأفراد قبيلته، كما وقد جاءت قافية القصيدة مطلقة، فحرف الروي متحرك ما أكسبها شدة وتماسك.

الموسيقى الداخلية:

سنتحدث في هذا المقام بما يتعلق بموسيقى القصيدة الداخلية، من تصريع وجناس وطباق وتكرار، وفي البداية سنشير إلى أن التصريع لا نلحظه في القصيدة، وربما يرجع ذلك إلى كون هذه العادة لم تكن متبعة في زمن الشاعر.

وإذا ما انتقلنا إلى موسيقى الجناس الذي نلمحه بمختلف أنواعه، فمن أمثلة "الجناس التام"، نذكر:

وَلَسْتُ بِمِحْيَارِ الظَّلاَمِ إذا انْتَحَتْ هُدَى الهَوْجَلِ العِسّيفِ يَهْمَاءُ هوْجَلُ[1]

حيث اتفقت (هوجل) الأولى والثانية، غير أن معنى الأولى هو الرجل الطويل القامة، فيه حمق وبله، أما الثانية فقد قصد بها الشديد المسلك.

أما بالنسبة للجناس اللاحق نلحظه في قوله:

لَعَمْرُكَ مَا بِالأَرْضِ ضِيقٌ على امْرِىءٍ سَرَى رَاغِبَاً أَوْ رَاهِبَاً وَهْوَ يَعْقِلُ

مُهَرَّتَةٌ فُوهٌ كَأَنَّ شُدُوقَها شُقُوقُ العِصِيّ كَالِحَاتٌ وَبُسَّلُ[2]

فهنا تجد الجناس بين (راغبا، راهبا) وبين (شدوق، شقوق) ففي الأولى بين الغين والهاء والثانية بين الدال والقاف.

ومن أمثلة جناس الاشتقاق، نذكر قوله:

وَمَا ذَاكَ إلّا بَسْطَةٌ عَنْ تَفَضُّلٍ عَلَيْهِمْ وَكَانَ الأَفْضَلَ المُتَفَضِّلُ

وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الأَرْضِ كَيْلا يُرَى لَهُ عَلَيَّ مِنَ الطَّوْلِ امْرُؤٌ مُتَطَوِّلُ[3]

فالجناس هنا كان بين كلمتي (الأفضل، المتفضل) وكلمتي (الطول، المتطول).

إذا ما انتقلنا إلى موسيقى التكرار، فإننا نجده حاضرا بكثرة في هذه القصيدة، ومن أمثلة تكرار الكلمة نجد في قوله:

وَمَا ذَاكَ إلّا بَسْطَةٌ عَنْ تَفَضُّلٍ عَلَيْهِمْ وَكَانَ الأَفْضَلَ المُتَفَضِّلُ[1]

---

[1] ديوان الشنفرى، المصدر السابق، ص62.

[2] المصدر نفسه، ص65.

[3] المصدر نفسه، ص62.

حيث كرر الشاعر جذر (فضل) ثلاث مرات، وذلك لكي يعبر عن أخلاقه الرفيعة، ومن أمثلته أيضا:

فَضَجَّ وَضَجَّتْ بالبَرَاحِ كأنَّها وإيّاهُ نُوحٌ فَوْقَ عَلْيَاءَ ثُكَّلُ[2]

حيث كرر كلمة "ضج"، وهذا ما جعل الكلمات تتقارب في وحدة شعورية ودلالية.

ومن أمثلة تكرار البداية نجد في قوله:

وَلَسْتُ بِمِهْيَافٍ يُعَشِّي سَوَامَه .....

ولا جُبَّأٍ أكْهَى مُرِبٍّ بعِرْسِهِ .....

وَلاَ خَرِقٍ هَيْقٍ كَأَنَّ فؤادَهُ .....

ولا خَالِفٍ دارِيَّةٍ مُتَغَزِّلٍ .....

وَلَسْتُ بِعَلٍّ شَرُّهُ دُونَ خَيْرِهِ .....

وَلَسْتُ بِمِحْيَارِ الظَّلاَمِ إذا انْتَحَتْ .....

ففي هذه الأبيات استخدم أسلوب تكرار البداية، وربما كان ذلك من أجل نفي هذه الصفات عن نفسه من خلال تكراره لحرف النفي (لا) وأداة النفي (ليس).

المبحث الثالث: الالتزام بالمذهبية الصعلوكية.

---

[1] ديوان الشنفرى، المصدر السابق، ص60.

[2] المصدر نفسه، ص65.

الواقعية في شعره:

من الخصائص البارزة في قصيدة لامية العرب وجود الواقعية العملية فيها كانت مطابقة لنفسيته ونلتمس ذلك بوضوخ، لذا فإن هذه الممارسة العملية الواقعية كانت بالفعل ناتجة عن تجربة شعورية ومن ظواهر هذه الخاصية الفنية في الواقعية وصفه للحياة بخيرها وشرها ومن ذلك ذكره للجوع، فيقول:

أُديمُ مِطَالَ الجُوعِ حتّى أُمِيتَهُ وأضْرِبُ عَنْهُ الذِّكْرَ صَفْحاً فأُذْهَلُ

وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الأرْضِ كَيْلا يُرَى لَهُ عَلَيَّ مِنَ الطَّوْلِ امْرُؤٌ مُتَطَوِّلُ

ولولا اجْتِنَابُ الذَأْمِ لم يُلْفَ مَشْرَبٌ يُعَاشُ به إلاّ لَدَيَّ وَمَأْكَلُ

وَلكِنّ نَفْسَاً مُرَّةً لا تُقِيمُ بي على الذامِ إلاَّ رَيْثَما أَتَحَوَّلُ

وَأَطْوِي على الخَمْصِ الحَوَايا كَما انْطَوَتْ خُيُوطَةُ مارِيٍّ تُغَارُ وتُفْتَلُ

وأَغْدُو على القُوتِ الزَهِيدِ كما غَدَا أَزَلُّ تَهَادَاهُ التنَائِفَ أطْحَلُ[1]

تدور معنى هذه الأبيات حول الجوع الذي لحق بالشاعر وهو قد تعود عليه، فقهره وبلغ من أن يشف تراب الأرض ولا يسمح لأحد أن يذله، وتأكيد الشاعر على الصبر وتحمل الجوع والمشقة ليصور حياته في ظل قساوة هذه الصحراء وهذه صراحة في غاية الوضوح حيث أنه يستعذب الجوع ويفضله على أن يأخذ من متفضل عليه فهو في هذه الحالة يقرر الترفع بالقيم لأنه يحمل نفس أبية حرة.

الانعتاق من الشخصية القبلية.

[1] ديوان الشنفرى، اميل بديع يعقوب، ص62.

تعتبر العصبية القبلية أعلى سلطة في النظام القبلي في المجتمعات الجاهلية، فقد كان الفرد يخضع لقوانينها ويتقيد بأعرافها ولا يخرج عنها فإذا خرج فإنه يصبح إما طريدا أو خليعا من الخلعاء حيث تتبرأ القبيلة منه وتعلن على الأشهاد أنها غير مسؤولة عن تصرفاته، وقد كان بعض شعراء الصعاليك مطرودين لم يجدوا من سبيل إلا الاختفاء بالجماعة الصعلوكية التي التقت أهدافها وتوحدت للغزو والإغارة والسلب وعندئذ فإن الصعلوك لا ينطلق معبرا عن آلام قبيلته بل يعبر عن نفسه لهذا تجد أن التعبير عن ضمير الجماعة غير موجود بل وجد مقابلة الضمير الفردي وقد حلت الرابطة الصعلوكية الجماعية محل الرابطة القبلية في أحاديث الصعاليك.

وقد كان خطاب الشنفرى في قصيدته نابعا من هذه المذهبية حيث يقول في لاميته:

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكُمْ فَإِنِّي إلى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَأَمْيَلُ[1]

ومعنى هذا أن الشنفرى قد اتخذ حيوان الصحراء من ذئب ونمر وضبع أصدقاء مخلصون له مقربون لم يثق لهم أكثر من الإنسان ويرتاح للعيس معهم بعيدا عن قسوة المجتمع القبلي الذي حرمه من البرد فهو يفضل الحيوان على مجتمعه، ولو تعمقنا في أكثر أشعار الشنفرى الموجودة في ديوانه نجد أن الطابع الفردي سابغ على هذه الأشعار من هذه إكثاره من ضمير المتكلم عن نفسه دون التعرض عن الحديث عن قبيلته والجاني الجماعي في أحاديثه منصب على رفاقه الصعاليك الذين حلوا محل القبيلة في الغزو والاعتداء والتربص بالناس وهذا ما لا نجده عند شعراء الجاهلية.

قوة الإرادة:

كما هو معروف أن لبيئة التي عاش فيها الصعاليك فهي بيئة قاحلة جافة، فهذه الطبيعة الخشنة والنظام الاجتماعي سائد فيها أكسبت الصعلوك قوة الشخصية والاعتزاز بكيانها وعدم خضوعها أو خضوع سلوكها إلا بما تمليه إرادة الشخص نفسه.

[1] ديوان الشنفرى، اميل بديع يعقوب، ص58.

وتتجسد قوة الإرادة في الشخص من خلال الصبر الذي يعتبر الدليل الحقيقي عليها وكما يصرح الشنفرى بذلك في لاميته مقاومته للجوع الشديد بالتحمل والتجاهل حتى يكاد ينعدم لديه الشعور بالجوع، حيث يقول:

أُديمُ مِطَالَ الجُوعِ حتّى أُمِيتَهُ وأضْرِبُ عَنْهُ الذِّكْرَ صَفْحاً فأُذْهَلُ[1]

الشجاعة:

تعد هذه الخصلة من أهم الأخلاق التي تقوي النفس، ولهذا دعا الشرع الشريف إليها منه حديث شريف روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه:«علموا أولادكم لامية العرب فإن فيها القناعة والشجاعة».[2]

وإلى جانب هذا فإن طبيعة حياة الصعاليك تعتمد على العدوان والصراع ولا يصلح فيها إلا الشجاع، وكذلك تقصينا حياة الشنفرى فإننا نجد أنه نشأ على الشجاعة وأ،ها ولدت معه وأنه شب ومبر وهي تتمشى معه، ويتضح ذلك من خلال أحاديثه عن ضروب الشجاعة التي أبداها في غزوه وحربه لبني سلامان وكانت مواقفه تتسم بالشجاعة ومن ذلك قوله:

وَلَيْلَةِ نَحْسٍ يَصْطَلِي القَوْسَ رَبُّها وَأَقْطُعَهُ اللَّاتي بِهَا يَتَنَبَّلُ

دَعَسْتُ على غَطْشٍ وَبَغْشٍ وَصُحْبَتي سُعَارٌ وإرْزِيزٌ وَوَجْرٌ وَأفْكَلُ

فأيَّمْتُ نِسْوَاناً وأيْتَمْتُ إلْدَةً وَعُدْتُ كما أبْدَأْتُ واللَّيْلُ ألْيَلُ

وَيومٍ مِنَ الشِّعْرَى يَذُوبُ لُعَابُهُ أفاعِيهِ في رَمْضائِهِ تَتَمَلْمَلُ[3]

يتضح من هذه الأبيات تأكيد الشنفرى على شجاعته وتميزه عن الآخرين، فهو قد اختار توقيت غارته في ليلة شديدة البرد لا يجرؤ أحد على المغامرة فيها، ولا يملك أي مغير إلا أن يستدفئ بقوسه من

---

[1] ديوان الشنفرى، المصدر السابق، ص62.

[2] محمود حسن ناجي، الشنفرى، شاعر لاصحراء الأبي، ص107.

[3] ديوان الشنفرى، المصدر السابق، ص71.

شدة البرد، ومع ذلك فقد غامر الشنفرى بالإغارة في هذا الجو القاسي حيث البرد الفارص والظلمة الشديدة.

المقصود بالالتزام بالمذهبية الصعلوكية هي السير وفق مبادئ وقيم غرست في نفسية الصعلوك.

كما هو معروف أن هذه القصيدة تمثل الحياة الجاهلية للعرب تمثيلا حقيقيا صادقا، إذ تحدثت عن إباء النفس العربية، إذ وضعت أدق المكارم الأخلاقية ، فيها ما يدعو المرء إلى الاقتداء بمثل هذه القيم المثالية الأخلاقية التي ترتاح إليها النفس ويطمئن إليه الفؤاد، وقد جاءت هذه اللامية من شاعر خبر الحياة الصحراوية وسار على أغوارها وما من بيت إلا فيه حكمة وموعظة مما دعا إليه الشرع الشريف، حيث يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه:«علموا أولادكم لامية فإنها تعلمهم مكارم الأخلاق».[1] فالقصيدة تحمل في طياتها الكثير من القيم الأخلاقية.

الحرية والإباء:

كما هو معروف أن الرحية خاصية انسانية جوهرية وهذا ما عبر به محمد أحمد الحوفي:«كانت الحرية طبيعة العرب من أقدم العصور»[2]، فكان من آثار الشعر العربي بالحرية أن ملأ الصحراء فخرا بها وتمثل شعار كل عربي في قول عمرو بن البراقة:

متى تجمع القلب الذكي وصارماً وأنفاً حمياً تجتبك المظالم[3]

قد استعاض العربي عن هذا الفقر المادي بأعظم الغنى وهو الحرية والإباء في ظل قساوة الطبيعة التي حرمت كثيرا من الوسائل المادية والحسية التي يترفه بها المتحضرون، ولكنه استمتع بخير ما يستمتعون به.

فعاش في الصحراء حرا كالهواء وطليقا كالطير أبيا كالأسد قوي القلب كالصخر منبسط النفس كالبطحاء صافي المشاعر كالشمس المشرقة.

---

[1] محمود حسن ناجي، الشنفرة شاعر الصحراء الأبي، ص107.

[2] أحمد محمد الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، مكتبة نهضة مصر، مصر، ط2، ص277.

[3] المرجع نفسه، ص282.

وهذا ما عبر عنه الشنفرى بقوله:

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيّكُمْ فَإِنِّي إلى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَأَمْيَلُ

وفي الأَرْضِ مَنْأَى لِلْكَرِيمِ عَنِ الأَذَى وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ القِلَى مُتَعَزَّلُ[1]

إنه يعلن خروجه عن القبيلة، ويعتبر أن وطنا وأهلا لا يضمون بين جوارحهم محبة الشاعر ولا يؤمنون له حياة كريمة، لا يستحقون البقاء بينهم ولا العيش معهم وأرض الله واسعة فمن خاف إهانة أو بغضا فعليه بالاغتراب فهذه دعوة صريحة للهجرة في ديار الحرية.

العفة:

يعد العفة سمة خلقية واجتماعية ألفها العربي لأنه عاش في بيئة تقوم على مكارم الأخلاق، خاصة فيما يتعلق بالأعراض والاعتزاز بالشرف، والعفة كما هو معروف عند العرب لها أنواع منها ما هو أصيل عند العرب كافة، كالحرص على العرض ومنها ما هو خاص وهو التعفف عن بعض الحقوق كأن يتعفف الطاعم عن المبادرة إلى الطعام وهذا نوع أعلى وأرفع من الأول لأنه يتعفف عن حق حيث يبدو ذلك واضحا في شعرهم أن نفوسهم كانت تتميز بطابع خلقي ممتاز بنبله وسموه، وهذا على الرغم من الجوع وذلك دلالة على الكرامة والترفع ورفض الذل.

ولولا اجْتِنَابُ الذَأْمِ لم يُلْفَ مَشْرَبٌ يُعَاشُ به إلاّ لَدَيَّ وَمَأْكَلُ[2]

بل أنه يبلغ العفة إلى عدم تهافته على الزاد بشراسة الآخرين عندما يتناول الطعام، فإنه يأكل باحتشام وبأدب:

وَإِنْ مُدَّتِ الأَيْدِي إلى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ بَأَعْجَلِهِمْ إذْ أَجْشَعُ القَوْمِ أَعْجَلُ

وَمَا ذَاكَ إلّا بَسْطَةٌ عَنْ تَفَضُّلٍ عَلَيْهِمْ وَكَانَ الأَفْضَلَ المُتَفَضِّلُ[3]

---

[1] ديوان الشنفرى، المصدر السابق، ص61.

[2] المصدر نفسه، ص63.

[3] المصدر نفسه، ص60.

فالشنفرى نشأ على الأدب والحشمة في الحياة تجسد ذلك في وصفه جانب أخلاقي أثناء تناول الطعام وزهده فيه ورغبته عنه.

خاتمة

في الأخير، نقول: إن أهم النتائج التي خلصنا إليها من دراستنا هي أن طبيعة شعر الصعاليك تختلف في كثير من الجوانب عن طبيعة الشعر الجاهلي برمته، ويدعو اختلاف الصعاليك عن المجتمع الجاهلي القبلي الدارس لشعرهم أن يقوم أساسا على رصد الملامح الشعرية في شعرهم، وسنحاول فيما يأتي أن نجمع أهم النتائج التي وصلنا إليها:

أولا: قد قدم الصعاليك نماذج جديدة للإنسان الذي يرفض الذل والهوان في إطار مواجهة قسوة المجتمع والطبيعة والتي تكشف عن أهم الدوافع التي انطلق منها الصعاليك والتي أثرت في إبداعه.

ثانيا: إن الشاعر يواجه إنكار الأهل وتخليهم عنه بالتمرد والخروج عليهم وهو بذلك يمثل نموذج الصعلوك صورة لإنسان هجر المجتمع وعاش حيث الوحوش والقفر، يواجه الموت الذي يحيط به والأعداء الين يترصدونه وهي إلى جانب ذلك تقدم صورة للتمرد في مواجهة ما في المجتمع من مفارقات.

ثالثا: لقد تمرد الشعراء الصعاليك على منهجية القصيدة في العصر الجاهلي وعرضوا نظامها فتحرروا من المقدمة الغزلية أو الطللية، يضاف إلى ذلك عدم استعمالهم التصريع في مستهل قصائدهم، الأمر الذي جعل قصائدهم تتميز بسرد القصص فشعر الصعاليك في جله شعر قصصي يسجل فيه الشاعر كل ما يدور في حياته من مغامرات وصراعات ... إلخ.

رابعا: قد سعى الشنفرى إلى بناء صوره الشعرية من تشبيه واستعارة وكناية وذلك بالربط بين الفن والواقع، من أجل ذلك استخدم التشبيه لإبراز أوجه التمايز بين عالمه الحقيقي وعالم الوحوش.

خامسا: إن هذه القصيدة تمثل الحياة الجاهلية للعرب تمثيلا حقيقيا صادقا إذ ورد فيها وصف حيوان الصحراء والفقر والجوع ثم تحدثت عن إباء النفس العربية إذ وصفت أدق مكارم الأخلاق ونظرا لما اشتملت عليه اللامية من فوائد أخلاقية والكنز العظيم لألفاظه وجعلها تنال من الشرح والتفسير ما لم تنله أية قصيدة أخرى.

قائمة المصادر والمراجع

المصادروالمراجع:

1. إحسان سركيس، مدخل إلى الأدب الجاهلي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط01، دت.
2. ابراهيم الرضوي، شرح لامية العرب، تح: أسماء محمد حسن، دار الفارابي، المعارف، ط1، الإمارات العربية المتحدة، 2009.
3. أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، دط، دت، م05، باب مرد.
4. أحمد محمد الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، مكتبة نهضة مصر، مصر، ط2، دت.
5. أسماء أبو بكر، ديوان عروة بن الورد امير الصعاليك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998.
6. ألبير كامو: الإنسان المتمرد، تر: نهاد رضا، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط3، 1983.
7. اميل بديع يعقوب، ديوان الشنفرى، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1991.
8. جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، دط، دت، مح 04، باب الدال فصل الميم.
9. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، ط04، 2001/1422.
10. حسين عطوان، مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، دار المعارف، مصر، دط، دت.
11. ديوان السليك بن السلكة، تح: حميد آدم أسويني وكامل سعيد عواد، مطبعة الألماني، بغداد، ط1، 1984م.
12. ديوان الشنفرى، تح: اميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،ط1، 1991.
13. ديوان الشنفرى، تح: اميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1992.
14. ديوان امرئ القيس، تح: مصطفى عبد الشافي، ط05، 2004.
15. ديوان تأبط شرا وأخباره، تح: علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، ط01، 1984.

16. سعد عبد الرحمن، السلوك الإنساني، مكتبة الفلاح، ط03، 1983.

17. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط11، دت.

18. عبد الرزاق الخشروم، الغربة في الشعر الجاهلي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1986.

19. عبد القادر عبد الحميد زيدان، التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط01، الاسكندرية، 2003.

20. عبد الحليم حنفي، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، الهيئة المصرية للكتاب، دط، 1987.

21. عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، دار العلم للملايين، بيروت، ط4.

22. عمر محمد الطالب، عزف ووتر النص الشعري (دراسة في تحليل النصوص الأدبية الشعرية)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000.

23. الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الجيل، دت، م05، مرد.

24. محمد حسن أبو ناجي، الشنفرى شاعر الصحراء الأبي، الجزائر، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007.

25. يحي الجبوري، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط07، دت.

26. يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، ط02، 1959.

المجلات:

1. ألبير كامو، من العبث غلى التمرد، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 26، سبتمبر 2016.

الرسائل والمذكرات:

1. خولة محمد زايد المطارنة، العلاقة بين الضغوط النفسية والتمرد، جامعة مؤتة، كلية العلوم التربوية، قسم علم النفس، ماجستير، 1995، ص07.

ملحق

من جميل شعر الشنفرى:

إذا أصبحتُ بينَ جبالِ قوٍّ وبيضان القرى لم تحذريني

فإمّا أن تودِّينا فنرعى أمانتكمْ وإمّا أنْ تخوني

سأخلي للظَّعينة ِما أرادتْ ولستُ بحارسٍ لكِ كلَّ حينِ

إذا ما جئتِ ما أنهاكِ عنهُ فلم أُنْكِرْ عَلَيْكِ فَطَلِّقِيني

فأنتِ البعلُ يومئذٍ فقومي بِسَوْطِكِ لا أبا لَكِ فَاضْرِبِيني

ومن أجمل قصائده أيضا، يتحدث عن نظرته إلى امرأته وحسن خلقها، يقول:

ألا أمُّ عَمْروٍ أجْمَعَتْ فكسْتَقَلَّتِ وَمَا وَدَّعَتْ جِيرَانَها إذْ تَوَلَّتِ

وَقَدْ سَبَقَتْنَا أمُّ عَمْرٍو بأمْرِهَا وَكانَتْ بأعْنَاقِ المَطِيّ أَظَلَّتِ

بِعَيْنَيَّ ما أمْسَتْ فَبَاتَتْ فَأصْبَحَتْ فَقَضَّتْ أمُورا فكسْتَقَلَّتْ فَوَلَّتِ

فَوَا كَبِدا على أُمَيْمَة ِبَعْدَما طَمِعْتُ، فَهَيْهَا نِعْمَة ِالعَيْشِ زَلَّتِ

فَيَا جَارَتِي وأنْتِ غَيْرُ مُلِيمَة ٍ إذا ذُكِرَتْ ولا بِذَاتِ تَقَلَّتِ

. لَقَدْ أعْجَبَتْنِي لا سَقُوطاً قِنَاعُها إذا مَشَتْ ولا بِذَاتِ تَلَفُّتِ

تَبيتُ، بُعَيْدَ النَّوْمِ، تُهْدِي غَبُوقَها لِجَارتِها إذا الهَدِيَّة ُقَلَّتِ

تَحُلُّ، بِمَنْجاة ٍمِنَ اللَّوْمِ، بَيْتَها إذا ما بُيُوتٌ بالمَذَمَّة ِحُلَّتِ

كأنّ لها في الأرْضِ نِسْيا تَقُصُّهُ على أمُّهّا وإنْ تُكَلِّمْكَ تَبْلَتِ

. أمَيْمَة ُلا يُخزي نَثَاها حَلِيلَها إذا ذُكِرَ النّسْوَانُ عَفَّتْ وَجَلَّتْ

. إذَا هُوَ أمْسَى آبَ قُرَّة ِعَيْنِهِ مَآبَ السَّعِيدِ لم يَسَلْ: أينَ ظَلَّتِ[1]

---

[1] ابراهيم الرضوي، شرح لامية العرب، تح: أسماء محمد حسن، دار الفارابي، المعارف، ط1، الامارات العربية المتحدة، 2009، ص50.

ومن أجمل قول الشنفرى أيضا:

وأُمِّ عِيَالٍ قد شَهِدتُ تَقُوتُهُمْ إِذا أَطعَمْتُهُمْ أَوتَحَتْ وأَقَلَّتِ[2]

وأيضا:

تَخافُ علينا العَيْلَ إِنْ هي أَكثرتْ ونحْنُ جِيَاعٌ، أَيَّ آلٍ تَأَلَّتِ

فإن في هذا البيت دعوة إلى الاعتدال في الطعام ولله در الشافعي في قوله:

ثَلاَثٌ هُنَّ مُهْلِكَة، الأنامِ وداعية، الصحيحِ إلى السِّقامِ

دَوامُ مُدَامَة، وَدَوَامُ وطءٍ وإدخالُ الطَّعامِ على الطعامِ[3]

وقد حث الإسلام على ذلك، فقال الله تعالى:

«وكلوا واشربوا ولا تسرفوا»

وما أجمل قوله في بيته:

إذا ما أَتَتْنِي مِيتَتِي لم أُبَالِهَا ولم تُذْرِ خالاتي الدُّمُوعَ وَعَمَّتِي

وأيضا قوله:

وإنّي لَحُلْوٌ إِنْ أُرِيدَتْ حَلَاوَتي وَمُرٌّ إذا نَفْسُ العَزُوفِ كسْتَمَرَّتِ

ففي هذا البيت ما يعتز الخلق الكريم من حيث المعاملة بالمثل، وفي الحديث الشريف ما أكد هذا المعنى (عامل الناس بمثل نا تحب أن يعاملوك به).

---

[2] ديوان الشنفرى، تح: إميل بديع يعقوب، ص35.

[3] محمود حسن أبو ناجي، الشنفرى شاعر الصحراء الأبي، ص155.

لامية العرب:

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيّكُمْ		فَإِنِّي إلى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَأَمْيَلُ
فَقَدْ حُمَّتِ الحَاجَاتُ وَاللَّيْلُ مُقْمِرٌ		وَشُدَّتْ لِطِيّاتٍ مَطَايَا وَأَرْحُلُ
وفي الأَرْضِ مَنْأَى لِلْكَرِيمِ عَنِ الأَذَى		وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ القِلَى مُتَعَزَّلُ
لَعَمْرُكَ مَا بِالأَرْضِ ضِيقٌ على امْرِىءٍ		سَرَى رَاغِبَاً أَوْ رَاهِبَاً وَهْوَ يَعْقِلُ
وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُون : سِيدٌ عَمَلَّسٌ		وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْأَلُ
هُمُ الأَهْلُ لا مُسْتَودَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ		لَدَيْهِمْ وَلاَ الجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ
وَكُلُّ أَبِيٍّ بَاسِلٌ غَيْرَ أَنَّنِي		إذا عَرَضَتْ أُولَى الطَّرَائِدِ أَبْسَلُ
وَإِنْ مُدَّتِ الأَيْدِي إلى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ		بِأَعْجَلِهِمْ إِذْ أَجْشَعُ القَوْمِ أَعْجَلُ
وَمَا ذَاكَ إِلّا بَسْطَةٌ عَنْ تَفَضُّلٍ		عَلَيْهِمْ وَكَانَ الأَفْضَلَ المُتَفَضِّلُ
وَإِنّي كَفَانِي فَقْدَ مَنْ لَيْسَ جَازِيَاً		بِحُسْنَى ولا في قُرْبِهِ مُتَعَلَّلُ
ثَلاَثَةُ أَصْحَابٍ : فُؤَادٌ مُشَيَّعٌ		وأَبْيَضُ إِصْلِيتٌ وَصَفْرَاءُ عَيْطَلُ
هَتُوفٌ مِنَ المُلْسَ المُتُونِ تَزِينُها		رَصَائِعُ قد نِيطَتْ إليها وَمِحْمَلُ
إذا زَلَّ عنها السَّهْمُ حَنَّتْ كأَنَّها		مُرَزَّأَةٌ عَجْلَى تُرِنُّ وَتُعْوِلُ
وَأَغْدو خَمِيصَ البَطْنِ لا يَسْتَفِزُّنِي		إلى الزَادِ حِرْصٌ أو فُؤَادٌ مُوَكَّلُ
وَلَسْتُ بِمِهْيَافٍ يُعَشِّي سَوَامَه		مُجَدَّعَةً سُقْبَانُها وَهْيَ بُهَّلُ
ولا جُبَّإٍ أَكْهَى مُرِبٍّ بِعِرْسِهِ		يُطَالِعُها في شَأْنِهِ كَيْفَ يَفْعَلُ
وَلاَ خَرِقٍ هَيْقٍ كَأَنَّ فُؤادَهُ		يَظَلُّ به المُكَّاءُ يَعْلُو وَيَسْفُلُ
ولا خَالِفٍ دارِيَّةٍ مُتَغَزِّلٍ		يَرُوحُ وَيغْدُو داهناً يَتَكَحَّلُ
وَلَسْتُ بِعَلٍّ شَرُّهُ دُونَ خَيْرِهِ		أَلَفَّ إذا ما رُعْتَهُ اهْتَاجَ أَعْزَلُ
وَلَسْتُ بِمِحْيَارِ الظَّلاَمِ إذا انْتَحَتْ		هُدَى الهَوْجَلِ العِسّيفِ يَهْمَاءُ هؤجَلُ
إذا الأَمْعَزُ الصَّوّانُ لاقَى مَنَاسِمِي		تَطَايَرَ منه قَادِحٌ وَمُفَلَّلُ
أُديمُ مِطَالَ الجُوعِ حتّى أُمِيتَهُ		وأَضْرِبُ عَنْهُ الذِّكْرَ صَفْحاً فأُذْهَلُ
وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الأَرْضِ كَيْلا يُرَى لَهُ		عَلَيَّ مِنَ الطَّوْلِ امْرُؤٌ مُتَطَوِّلُ
ولولا اجْتِنَابُ الذَأْمِ لم يُلْفَ مَشْرَبٌ		يُعَاشُ به إلاّ لَدَيَّ وَمَأْكَلُ
وَلكِنّ نَفْسَاً مُرَّةً لا تُقِيمُ بي		على الذامِ إلاَّ رَيْثَما أَتَحَوَّلُ

وَأَطْوِي على الخَمْصِ الحَوَايا كَما انْطَوَتْ		خُيُوطَةُ مارِيٍّ تُغَارُ وتُفْتَلُ
وأَغْدُو على القُوتِ الزَهِيدِ كما غَدَا		أَزَلُّ تَهَادَاهُ التنَائِفَ أطْحَلُ
غَدَا طَاوِياً يُعَارِضُ الرِّيحَ هَافِياً		يَخُوتُ بأَذْنَابِ الشِّعَابِ ويُعْسِلُ
فَلَما لَوَاهُ القُوتُ مِنْ حَيْثُ أَمَّهُ		دَعَا فَأَجَابَتْهُ نَظَائِرُ نُحَّلُ
مُهَلَّلَةٌ شِيبُ الوُجُوهِ كأَنَّها		قِدَاحٌ بأيدي ياسِرٍ تَتَقَلْقَلُ
أوِ الخَشْرَمُ المَبْعُوثُ حَثْحَثَ دَبْرَهُ		مَحَابِيضُ أَرْدَاهُنَّ سَامٍ مُعَسِّلُ
مُهَرَّتَةٌ فُوهٌ كَأَنَّ شُدُوقَها		شُقُوقُ العِصِيِّ كَالِحَاتٌ وَبُسَّلُ
فَضَجَّ وَضَجَّتْ بالبَرَاحِ كأَنَّها		وإيّاهُ نُوحٌ فَوْقَ عَلْيَاءَ ثُكَّلُ
وأغْضَى وأغْضَتْ وَاتَّسَى واتَّسَتْ به		مَرَامِيلُ عَزَّاها وعَزَّتْهُ مُرْمِلُ
شَكَا وَشَكَتْ ثُمَّ ارْعَوَى بَعْدُ وَارْعَوَتْ		وَلَلْصَبْرُ إنْ لَمْ يَنْفَعِ الشَّكْوُ أجْمَلُ
وَفَاءَ وَفَاءَتْ بَادِراتٍ وَكُلُّها		على نَكَظٍ مِمَّا يُكَاتِمُ مُجْمِلُ
وَتَشْرَبُ أسْآرِي القَطَا الكُدْرُ بَعْدَما		سَرَتْ قَرَباً أحْنَاؤها تَتَصَلْصَلُ
هَمَمْتُ وَهَمَّتْ وَابْتَدَرْنَا وأسْدَلَتْ		وشَمَّرَ مِنِّي فَارِطٌ مُتَمَهِّلُ
فَوَلَّيْتُ عَنْها وَهْيَ تَكْبُو لِعُقْرِهِ		يُبَاشِرُهُ منها ذُقُونٌ وَحَوْصَلُ
كأَنَّ وَغَاها حَجْرَتَيْهِ وَحَوْلَهُ		أضَامِيمُ مِنْ سَفْرِ القَبَائِلِ نُزَّلُ
تَوَافَيْنَ مِنْ شَتَّى إِلَيْهِ فَضَمَّهَا		كما ضَمَّ أذْوَادَ الأصَارِيمِ مَنْهَلُ
فَغَبَّ غِشَاشَاً ثُمَّ مَرَّتْ كأنّها		مَعَ الصُّبْحِ رَكْبٌ مِنْ أُحَاظَةَ مُجْفِلُ
وآلَفُ وَجْهَ الأرْضِ عِنْدَ افْتَرَاشِها		بأَهْدَأَ تُنْبِيهِ سَنَاسِنُ قُحَّلُ
وَأعْدِلُ مَنْحُوضاً كأنَّ فُصُوصَهُ		كعَابٌ دَحَاهَا لاعِبٌ فَهْيَ مُثَّلُ
فإنْ تَبْتَئِسْ بالشَّنْفَرَى أمُّ قَسْطَلٍ		لَمَا اغْتَبَطَتْ بالشَّنْفَرَى قَبْلُ أطْوَلُ
طَرِيدُ جِنَايَاتٍ تَيَاسَرْنَ لَحْمَهُ		عَقِيرَتُهُ لأيِّها حُمَّ أَوَّلُ
تَنَامُ إذا مَا نَامَ يَقْظَى عُيُونُها		حِثَاثَاً إلى مَكْرُوهِهِ تَتَغَلْغَلُ
وإلْفُ هُمُومٍ ما تَزَالُ تَعُودُهُ		عِيَاداً كَحُمَّى الرِّبْعِ أو هِيَ أثْقَلُ
إذا وَرَدَتْ أصْدَرْتُها ثمّ إنّها		تَثُوبُ فَتَأتي مِنْ تُحَيْتُ ومِنْ عَلُ
فإمّا تَرَيْنِي كابْنَةِ الرَّمْلِ ضَاحِيَاً		على رِقَّةٍ أحْفَى ولا أَتَنَعَّلُ
فإنّي لَمَولَى الصَّبْرِ أجتابُ بَزَّهُ		على مِثْلِ قَلْبِ السِّمْعِ والحَزْمَ أفْعَلُ

وأُعْدِمُ أَحْيَاناً وأَغْنَى وإنَّما		يَنَالُ الغِنَى ذو البُعْدَةِ المُتَبَذِّلُ
فلا جَزِعٌ مِنْ خَلَّةٍ مُتَكَشِّفٌ		ولا مَرِحٌ تَحْتَ الغِنَى أتَخَيَّلُ
ولا تَزْدَهِي الأجْهالُ حِلْمِي ولا أُرَى		سَؤُولاً بأعْقَاب الأقَاويلِ أُنْمِلُ
وَلَيْلَةِ نَحْسٍ يَصْطَلِي القَوْسَ رَبُّها		وَأقْطُعَهُ اللَّاتي بِهَا يَتَنَبَّلُ
دَعَسْتُ على غَطْشٍ وَبَغْشٍ وَصُحْبَتي		سُعَارٌ وإرْزِيزٌ وَوَجْرٌ وَأفَكَلُ
فأيَّمْتُ نِسْوَانَاً وأيْتَمْتُ إلْدَةً		وَعُدْتُ كما أبْدَأْتُ واللَّيْلُ ألْيَلُ
وأصْبَحَ عَنّي بالغُمَيْصَاءِ جَالساً		فَرِيقَانِ: مَسْؤُولٌ وَآخَرُ يَسْألُ
فَقَالُوا: لَقَدْ هَرَّتْ بِلَيْلٍ كِلَابُنَا		فَقُلْنَا: أذِئْبٌ عَسَّ أمْ عَسَّ فُرْعُلُ
فَلَمْ يَكُ إلاَّ نَبْأةٌ ثُمَّ هَوَّمَتْ		فَقُلْنَا: قَطَاةٌ رِيعَ أمْ رِيعَ أجْدَلُ
فَإنْ يَكُ مِنْ جِنٍّ لأبْرَحُ طارِقاً		وإنْ يَكُ إنْسَاً ما كَهَا الإنسُ تَفْعَلُ
وَيومٍ مِنَ الشِّعْرَى يَذُوبُ لُعَابُهُ		أفاعِيهِ في رَمْضائِهِ تَتَمَلْمَلُ
نَصَبْتُ له وَجْهِي ولا كِنَّ دُونَهُ		ولا سِتْرَ إلاَّ الأتْحَمِيُّ المُرَعْبَل
وَضَافٍ إذا طَارَتْ له الرِّيحُ طَيَّرَتْ		لبائِدَ عن أعْطَافِهِ ما تُرَجَّلُ
بَعِيدٌ بِمَسِّ الدُّهْنِ والفَلْيِ عَهْدُهُ		له عَبَسٌ عافٍ مِنَ الغِسْل مُحْوِلُ
وَخَرْقٍ كظَهْرِ التُّرْسِ قَفْرٍ قَطَعْتُهُ		بِعَامِلَتَيْنِ ، ظَهْرُهُ لَيْسَ يُعْمَلُ
فألْحَقْتُ أُوْلاَهُ بأُخْرَاهُ مُوفِياً		عَلَى قُنَّةٍ أُقْعِي مِرَاراً وَأمْثُلُ
تَرُودُ الأرَاوِي الصُّحْمُ حَوْلِي كأنّها		عَذَارَى عَلَيْهِنَّ المُلَاءُ المُذَيَّلُ
ويَرْكُدْنَ بالآصَالِ حَوْلِي كأنّني		مِنَ العُصْمِ أدْفَى يَنْتَحِي الكِيحَ أعْقَلُ

الفهرس

إهداء
شكر وعرفان
مقدمة أ
الفصل الأول: التمرد في شعر الصعاليك
المبحث الأول: مفهوم التمرد 04
المبحث الثاني: أسباب وعوامل ظهور الصعلكة 07
1. العامل الطبيعي 07
2. العامل الاجتماعي 10
3. العامل الاقتصادي 14
المبحث الثالث: أهداف الصعاليك 16
الفصل الثاني: دراسة فنية للامية العرب
المبحث الأول: التخلص من المقدمة الطللية 21
المبحث الثاني: لغة القصيدة 23
أ. المعجم الشعري 23
ب. الصور البلاغية 25
ج. الموسيقى 29
المبحث الثالث: الالتزام بالمذهبية الصعلوكية 32
خاتمة عامة 38
قائمة المصادر والمراجع 40
ملحق
الفهرس